لقد هان هذا الخطب !

للكاتب المجهول

لقد هان هذا الخطب ، وما كنت أنتظر أن يهون ، ولكن الدنيا بصروفها الغرائب تهوّن الخطوب ، وكان من شيمتها أن تجسّم الخطوب !

هان خطب القطيعة ، هان ثم هان ، واستشعرتُ رَوْح الخلاص ، وكنت أبغض الخلاص ؛ فيا عجباً لزمن يجعل بعدى عنكم شهوة يطمح إليها فؤادى !

ما بكيت على نفسى حين ودعتكم ، وإنما بكيت عليكم ، بكيت على دولة الحُسن التى ذهبت إلى غير مَعاد ، وبكيت على اللطف الذى حُرِمتموه كما تحرَم الزهرة من العِطر بعد الذبول

ما تمثلتُ أيامكم إلا تعجبت مما تصنع الدنيا بأهلها ، فما كانت لكم نظائر فى الحُسن واللطف ، ولا كانت لكم أشباه فى سماحة النفس وصفاء الروح

وبكيت أيضاً على نفسى ، فهذا مُلكٌ ضاع من يدى ، مُلكٌ أضاعه الدهر الغادر الذى لا يُبقى على شىء ، والذى يستمد سطوته من قدرته على إذالة دولة اللطف والجمال

حُرِمتُ بقطيعتكم آخر أمل يرجوه من يقف على المقابر ليؤدى التحية إلى أموات يحسبهم أحياء يتلقون تسليمات الأحياء

المقابر تسمع ولا تجيب ، وأنتم تجيبون ولا تسمعون بدليل أنكم تخطئون فى الجواب

لو أننى كنت البادئ بهذا الحب لرأيت لكم عذراً فى الصدوف عنى ، فما يتصدّق الأغنياء على الشعراء فى كل وقت ، وإنما كنتم البادئين وهذا فضلٌ لن أنساه إلى آخر الزمان ، فكيف تهدمون ما بنيتم ، وكان غاية فى متانة البناء ؟

هل تعود لياليا ؟ هل تعود ؟

لن تعود لياليَّ معكم يا غادرين ، لأنكم لم تعودوا صالحين لإدراك ما يشتجر فى قلبى ، ولأن هواكم قد مات ، وما كنت أحسب أنه مما يجوز عليه الموت ، وقد كذبت على نفسى حين توهمت أن الهوى لا يموت

وأنا مع هذا فرح جذلان ، لأنى واثق بأنكم لا تعانون من آصار القطيعة بعض الذى أعانى ، ومن هواى أن تكونوا فى عافية من ثورة الوجدان ، لتعيشوا فى سلام

هل كان حبنا مزاحاً جد به الزمن فانهزم ؟

أنا كنت أجد ، وما خطر فى بالى أنكم كنتم هازلين ، وجِدُّ الهوى جد ، وهزله جده لو كنتم تعقلون

هل كنت حين أناجيكم أناجى وثناً بلا روح ؟

لو ناجيت الصخر لأنطقته بألطف المعانى ، فكيف عجزت عن رياضتكم على الوفاء ؟

ما أشد حزنى على ما ضيّعتُ من ليالىَّ وأيامى !

لم نكن نعرف ما النهار وما الليل

أيامَ لا أدرى وإن سألتِ ما الفرقُ بين جُمعة وسبْت

ولم نكن نعرف أن للدنيا غدرات ينبو فيها جنب عن جنب ، وقلب عن قلب ، فترحلون عن مصر الجديدة إلى حلوان ، وهى بهجركم أبعد من أسوان

لو كنت أعرف أن فيكم خيراً لجعلت داركم دارى ، ولو سكنتم فى مقبرة تُشرف على عالم الفناء ، ولكن القدر أراد ما أراد فانتزع حبكم من فؤادى ، فأنا اليوم بلا حب وبلا فؤاد

إن إقامة صرح فوق أثباج البحر أبقى وأثبت من الحب الذى أقمته فوق روحكم ، والرُّوح من الرَّوح وهو النسيم ، وليس للنسيم ثبات

انقضى عهد الحب ، انقضى بالرغم منى ، فما فارقتكم إلا بعد أن صح عندى أن هواكم لم يكن إلا أسطورة لفّقها الخيال

أينتهى غرامنا بمثل هذه النهاية فلا أسأل عنكم ولا تسألون عنى ؟

وهل كان البهاء زهير ملهماً حين عبّر عما أريد فقال :

ملكتمونى رخيصاً فانحطّ قدرى لديكم
فأغلق الله باباً دخلت منه إليكم
حتى ولا كيف أنتم ولا السلام عليكم

لن نتصافح إذا التقينا مصادفةً فى شارع فؤاد ، فالمصافحة من الصفح ، ولن أصفح عنكم أبداً ، ولو ضمنتم أن تعود معكم أيامى السوالف وليالىّ الخوالى

أنا فرح بما صرتم إليه ، فقد أنجاكم الله مما ابتلانى

ولكنى حزين مما صرتم إليه ، فلن تعانوا اشتجار العواطف بعد فراق ، واشتجار العواطف هو أثمن ما تتغذى به القلوب

وإنى لأشكر لكم صنيعكم ، فقد رحتمونى من هاوية كنت سأتردى فيها إن طال حبى لكم ، وكان ثورة وجدانية تزلزل أقطار السماء

انتهينا من العتاب ، أليس الأمر كذلك ؟

وانتهينا من ليالى مصر الجديدة وليالى حلوان ، وانتهينا من الظهريات الجميلة بحديقة الشاى فى حدائق الحيوان ... هل تذكرون يا غادرين ؟

وانتهينا من جمع كسارات الكأس المصدوع ، فى تلك الليلة ، وهى ليلة لن تعود ، ويا ليتها تعود ، فلو صرتم رمة بالية لوجوت أن أستروح منكم روح العطر النفيس

لا تسألوا عنى بعد اليوم ، فقد تُبتُ توبة نهائية عن الغرام بالتماثيل ، وهى أبدان بلا أرواح

أنا أحسنت الظن بمن لم يكونوا لحسن الظن بأهل ، فلتشاقبنى المقادير بما تشاء ، وعدلٌ من الله كل ما صنع ، كما قال أستاذنا العباس بن الأحنف ، عليه رحمة الحب !

كانت غايتكم أن تستأثروا بقلبى ، وقد حاولت النجاة بقلبى فلم أفلح ، ثم كانت العاقبة أن نصير إلى ما صرنا إليه ، وما أفظع ما صرنا إليه !

الغدر مسخكم فأحالكم صورة ميتة برقشها ريشة رسام جهول

هل تذكرون تأريخ العيون الكحيلة ، وكانت أجمل ما رأت العيون ؟

استفتوا المرآة ، ثم حاسبوا ضمائركم ، إن كانت لكم ضمائر ، لتعرفوا أن سواد عيونكم لم يكن إلا منحة خلعها عليكم سواد قلبى ، وهو قلب يمنح الرهبة والسحر لسواد الليالى وسواد الخيلان .

وقد استرددت تلك المنحة بعد أن أيقنت أنى خلعتها على من يكفر بالجميل ، ولست أغنى من الله وهو مع غناه عن الثناء يؤدب من ينعم عليهم فيطالبهم بالثناء

تخطّروا إن شئتم فى شارع فؤاد ، وانظروا هل تلتفت إليكم عين أو يخفق لكم قلب ؟

أنا أبدعتكم إبداعاً لا نظير له ولا مثيل ، وغاب عنكم جميلى فجحدتم جميلى ، وغضبة الله والحب على من يجحد الجميل .

لن أبكى عليكم ، ولكنى سأبكى على أخلاق ، وهى جديرة بالبكاء .

كنت أعتقد أنى من رجال الأخلاق ، ثم ظهر أن فى صدرى غريزة وحشية تشتهى الاقتتال والافتراس ، وإلا فما الذى يمنع من أن أنتصر على كبريائى فأسعى إلى داركم لأسأل عنكم ولأطمئن عليكم بياض الوجوه وسواد العيون ؟

كنت أبدع البشاشة فى أرواح الملاح ثم صرت المنتقم الفاتك بأرواح الملاح ، فما أفظع جُرمى ، وما أسوأ صنيعى !

سأقتحم داركم بعد أيام أو أسابيع ، فما أدرى متى أنتصر على كبريائى

إنتظرونى ، إنتظرونى ، لتعرفوا أن خطب الفراق لم يَهُن ولن يهون

سأصافحكم بيدى . ألم أحدثكم أن المصافحة مشتقة من الصفح ؟

غفرت ذنوبكم ، غفرت ، ثم غفرت ، وأنا أول من يغفر ذنوب الجمال

عَرْبِدَ الحسن بكم فاسألونى ، والحسن عِربيد ، ومن واجبى أن أغفر ذنوب العرابيد

كان لى منكم تاريخ هو أجل التواريخ ، وكان رزقاً ساقه الله إلىّ ، والله حين يتفضل يمنح بلا حساب

أنا لا أعرف متى نتصافح ، لأن هذا لن يكون إلا بعد أن أتنازل عن كبريائى ، وهذا أملٌ بعيد المنال

سلامٌ عليكم يا أحباباً وفَوْا ثم خانوا

أنا أعبد الجمال ، على شرط أن يعرف الجمال حقوق الوفاء

لن أزور داركم أبداً ، ولن أراكم ولن ترونى ، فقد حلّ عليكم غضبى وغضب العاشق الصادق نقمةٌ تنزل من السماء

شرّقوا وغرّبوا فى طلب المستحيل ، فصفحى عنكم هو المستحيل

سأبدع بدائع جديدة ، وسأخلق فى دنيا الحب ما لا تعلمون ، فتناسَوْا عهدى ، لتعيشوا فى أمان ، من جزع الوجدان

لن تستطيعوا الفرار من انتقامى ، ولن تتخطروا بعد اليوم فى شارع فؤادٍ ، ولن تكونوا نهبة لأعين الحاسدين ، وألسن العاذلين ، ومن حق مَن يَخلق أن يُميت

سلامٌ على الهوى وسلامٌ عليه ، وألف سلام

* * *

أنتم تمردتم على سجن الحب ، فتمتعوا بالحرية التى اشتهيتموها جاهلين بالعواقب ، فما يتمرد على سجن الحب غير الصائرين إلى الفضاء ...

كانت كلمتكم فى ساعة التمرد : Vous disposez de moi

وهذا صحيح ، فقد كان من حق الهوى أن أتصرف تصرف المالك بالمملوك

لا تظنوا أنكم خرجتم من يدى ، ولا يخطر لكم فى بال أنى سأترك واجبى فى دفن حسنكم الذاهب إلى غيابات الفناء

هان خطبكم ، ثم هان ، وما كنت أحسب أنه سيهون ، ألم أقل إن الدنيا تصنع الغرائب ؟

أنا واثق بأنكم سترجعون إلىّ قبل أن أرجع إليكم

الشعر عندى والجمال عندكم ، والشعر أفتن من الجمال

أما بعد فمن أنتم ؟

أنا أعرفكم بأكثر مما تعرفون أنفسكم ، فقد كنتم الغاية لما تشتهى الأرواح والقلوب ، وما اشتهت عيناى أفضل مما اشتهيت منكم ، يا نهاية النهايات فى سحر العيون

أنا بنيتكم بيدى ، ولن أهدمكم بيدى ، والبانى لا يكون من الهدّامين

سلامٌ عليكم ، فما ألقاكم إلا إن تنازلت عن كبريائى

احرسينى يا ليلى ، احرسينى ، قبل أن أقول : « عليك منى السلام »

« الغائب المجهول »

مجلس مديرية المنوفية

ادارة الهندسة القروية

يقبل لغاية ظهر يوم ٤ مارس سنة ١٩٤٤ عطاءات عن ردم برك بذدر شبين الكوم . وتطلب الشروط على ورقة تمغة مع دفع ٤٠٠ مليم ثمنها ويمكن الاطلاع على الرسومات بالادارة للذكورة . ١٨٧٠